حديث القرآن عن جرائم الشواذ

من خلال قصة نبي الله لوط ،

ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب :

التمهيد : **تعريف موجز بقوم نبي الله لوط _عليه السلام _**

المطلب الأول : **أسلوب السخرية والاستهزاء.**

المطلب الثاني : **تركهم الاستمتاع الطبيعي الذي أحله الله لهم.**

المطلب الثالث : **أسلوب التكذيب والتهديد للمصلحين بالإخراج من الأوطان.**

المطلب الرابع : **المطلب الرابع: قطع السبيل على المارة، وصدور ما لا يليق بهم من الأقوال والأفعال.**

إعداد الدكتور

د/مصطفى عبد العزيز ندوان

المبحث الثالث :

حديث القرآن عن جرائم الشواذ من خلال قصة نبي الله لوط.

التمهيد : تعريف موجز بقوم نبي الله لوط – عليه السلام –

قال ابن كثير_ رحمه الله _:" ولوط هو ابن هاران بن آزر وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان قد آمن مع إبراهيم _عليه السلام _وهاجر معه إلى أرض الشام فبعثه الله إلى أهل سدوم[١] وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله _عز وجل_ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم "[٢].

ويقول الدكتور أحمد مختار: عن نبي الله لوط وقومه: هو نبي، من أنبياء الله، آمن برسالة إبراهيم _ عليه السلام _، ودعا قومه إلى طاعة الله والبعد عن الفواحش حيث كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، ولكنهم عصوه وهددوه بالطرد فأمطر الله عليهم حجارة من سجيل وجعل عالي القرية سافلها[٣].

ويقول الطاهر بن عاشور: وقوم لوط كانوا خليطًا من الكنعانيين وممن نزل حولهم، ولذلك لم يوصف بأنه أخوهم إذ لم يكن من قبائلهم، وإنما نزل فيهم واستوطن ديارهم... وكان لوط _ عليه السلام _قد نزل ببلاد سدوم ولم يكن بينهم وبينه قرابة ...وهم أسلاف الفنيقيين وكانت هذه القرى على شاطئ السديم، وهو بحر الملح، كما جاء في التوراة وهو البحر الميت المدعو (بحيرة لوط) بقرب أرشليم[٤].

---

(١) «سَدُومُ » بفتح السين وتخفيف الدال وقيل: اسمها سذوم. بالذال المعجمة: مدينة من مدائن قوم لوط وذكر الميداني في كتاب الأمثال أن سدوم هي سرمين بلدة من أعمال حلب معروفة عامرة عندهم. وهي بين الحجاز والشام. كانت أحسن بلاد الله وأكثرها مياهاً وأشجاراً وحبوباً وثماراً. والآن عبرة للناظرين. يراجع: معجم البلدان (٣/٢٠٠)،آثار البلاد وأخبار العباد(ص٢٠٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٩٩).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة(٣/٢٠٤٨).

(٤) التحرير والتنوير (٨/ ٢٢٩/٢٣٠).

المطلب الأول : **أسلوب السخرية والاستهزاء**.

السخرية : والاستهزاء، هو تعجب باحتقار واستحماق. وقيل الاستهزاء: مبالغة في الهزء مثل الاستسخار في السخرية.

وهذا الأسلوب أعني " السخرية الاستهزاء" هو عادة مطردة للأقوام مع رسلهم،_عليهم السلام _ـ فقد سخر قوم نوح منه، وإليه الإشارة **بقوله تعالى :** ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [١].

وأيضًا استهزأت عاد بنبي الله هود، وإليه الإشارة **بقوله تعالى :**﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [٢].

واستهزأت ثمود بصالح، وإليه الإشارة **بقوله تعالى:**﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [٣]

واستهزأ قوم شعيب به، وإليه الإشارة **بقوله تعالى :** ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [٤].

واستهزأ فرعون بموسى، وإليه الإشارة **بقوله تعالى :**﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٥].

---

(١) سورة هود آية (٣٨).

(٢) سورة الشعراء آية (١٨٧).

(٣) سورة الأعراف آية (٦٦).

(٤) سورة هود آية (٨٧).

(٥) التحرير والتنوير (١٤٨/١٣)،بتصرف، والآية من سورة الزخرف (٤٣)

واستهزأ المشركون بني الإسلام (ﷺ) وذلك في آيات كثيرة، إلى أن سلّى الله رسوله الكريم بهذه الآية :﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (١).

وفي هذا درس تربوي في عصرنا المعاصر لكل داعية إلى الله تعالى يجب عليه ألا يتأثر بسخرية أحد منه، ويعلم أنه على سنن غيره من الدعاة إلى الله تعالى، وأن الله تعالى سينتصر له إما عاجلاً وإما آجلاً، كما في نهاية كل سياق من هذه الآيات(٢).

وهذا الذي سجله القرآن وذكره مع جُل الأنبياء والرسل هو الذي وقع مع نبي الله لوط – عليه السلام– فقد استهزاء به قومه فيما أخبر الله عنهم، وإليه الإشارة **بقوله تعالى :**﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (٣)، وقولهم له أيضا : ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾(٤)، **وقوله تعالى :** ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (٥).

وعن هذه الأجوبة من قومه جاءت كلها بطريق الاستهزاء والإنكار والسخرية.

يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب:هذا هو الجواب الذي أجاب به القوم لوطًا، حين أنكر عليهم هذا المنكر الذي يعيشون فيه، ويتعاملون به جهرة، وهو جواب ينطوي على استخفاف واستهزاء، فوق ما يحتوى عليه من بغى وعدوان.. إنهم لم يجيبوا على ما أنكره عليهم لوط، ولم يقبلوا ما دعاهم إليه، وإنما كان فعلهم الذي

---

(١) سورة الأنعام آية (١٠).
(٢)أضواء البيان للشنقيطي (٨/٤٦٤).
(٣) سورة النمل آية (٥٦).
(٤) سورة الشعراء آية (١٦٧).
(٥) سورة العنكبوت آية (٢٩).

i

أرادوه به وبمن معه، هو الرد العملي على هذا النصح الذي نصح لهم به ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [1] .

فلقد تنادوا فيما بينهم إلى أن يخرجوا آل لوط من القرية، واعتبروا لوطا ومن معه كائنات غريبة تعيش في هذا المجتمع ﴿ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي يدعون التطهر والتعفف، ويكرهون أن يعيشوا في هذا الجو الذي نعيش فيه.. وإذن فليخرجوا من بيننا، وإذا لم يخرجوا أخرجناهم.. فهذه القرية هي قريتنا، وليس لهم مقام فيها ما داموا لا يحيون حياتنا!! هكذا كان منطق القوم.. إنهم كثرة، وآل لوط قلة. وما كان للقلة أن تتحكم في الكثرة... وإذا كانت القرية لا تحتملنا وتحتملهم على هذا الخلاف الذي بيننا وبينهم، فليخرجوا منها مكرهين، غير مأسوف عليهم.وليس هذا وحده هو جواب القوم... فقد كان للقوم أجوبة كثيرة، أجابوا بها على دعوة لوط، كما ذكر القرآن عنهم ذلك في أكثر من موضع...فهذه أجوبة كثيرة كان يلقى بها القوم لوطاً. ولكن هذا الجواب، الذي جاء في **قوله تعالى** : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [2]...هو تلخيص جامع لهذه الأجوبة كلها، وهو النهاية التي انتهت إليها كل هذه الأجوبة، فكان هذا الجواب هو جوابهم القاطع، الذي لا جواب لهم غيره، ولهذا جاء به النظم القرآني على هذه الصورة التي تفيد القصر[3].

وهذا هو المعهود من أهل الرذائل أن ينكروها أو يسموها بغير اسمها ويألمون ممن يعيرهم بها لما جبل الله عليه البشر من حب الكمال وكره النقص، فكيف علل

---

(١) سورة النمل آية (٥٦).

(٢) سورة النمل آية (٥٦).

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٠/٢٥٨ /٢٥٩).

قوم لوط إخراجه هو ومن آمن معه بأنهم يتطهرون ويتنزهون من أدران الفواحش، وهو شهادة لهم بالكمال وشهادة على أنفسهم بالنقص؟ "فالجواب": ما قاله الإمام الزمخشري في الكشاف حيث قال:إن فيه سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش، وافتخارهم بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: ابعدوا عنا هذا المتقشف، وأريحونا من هذا المتزهد[١].

ومثله معهود من المجاهرين بالفسق، وللنقص والرذائل دركات، كما أن للكمال والفضائل درجات، فأولاها أن يلم بالرذيلة وهو يشعر بقبحها، ويلوم نفسه عليها، ثم يتوب إلى ربه منها، ويليها أن يعود إليها المرة بعد المرة مستترا مستخفيا، ويليها أن يصر عليها، حتى يزول شعوره بقبحها، ويليهاأن يجهر بها، ويكون قدوة سيئة للمستعدين لها، ويليها أن يفاخر بها أهلها، ويحتقر من يتنزهون عنها، وهذه أسفل الدركات، وهي درجة قوم لوط، ولا يهبط إليها ولا بسف من يؤمن بالله واليوم الآخر، بل وصف الله المؤمنين بأنهم إذا عملوا السيئات يعملونها بجهالة ثم يتوبون من قريب، وأنهم لا يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون[٢].

وقوم لوط في هذا الأمر الذي حل بهم عدوا أنفسهم أصاحب دعوة راشدة، ودعاة فلسفة حكيمة، ونسوا أنهم أئمة الضلال في هذا الميدان.

يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب : قد كانوا في هذا الفعل المنكر أول أناس فعلوه... فهم أئمة في هذا الضلال، عليهم وزر هذا الإثم ووزر من عمل به إلى يوم القيامة! والقوم- شأنهم شأن كل معتد أثيم- يستمرئون هذا الضلال، ويقيمون له منطقًا يقع من نفوسهم موقع اليقين والاطمئنان، وبهذا عدوا أنفسهم أصحاب دعوة راشدة، ودعاة فلسفة حكيمة، وأن لوطا ومن معه قوم منحرفون، متجمدون على القديم، لا يتحولون عنه... ومن هنا سول لهم منطقهم هذا أن يؤذنوا لوطا ورهطه بالخروج من بينهم[٣].

---

(١) الكشاف (١٢٦/٢) بتصرف.

(٢)تفسير المنار (٤٥٨/٨) بتصرف.

(٣) التفسير القرآني للقرآن (٤٢٥/٤) بتصرف.

i

المطلب الثاني : تركهم الاستمتاع الطبيعي الذي أحله الله لهم.

وهذا يعد من أهم أسس التربية الجنسية في الإسلام، فالإنسان بطبعه مفطور على الميل للجنس الآخر، فالرجل مفطور على الميل المرأة، والمرأة كذلك، والرجل يكمل المرأة، والمرأة تكمل الرجل. وهذه قضية في ذاتها فطرية غريزية لا يلام عليها الإنسان –وقد سبقت إشارة عابرة إلى ذلك، والله _عزوجل_شرع الزواج وأمر بتيسير أسبابه وحث عليه– لكن انظر إلى موقف الجاهليات والمناهج المنحرفة من هذا الأمر! ستجد لو تأملت –أيضاً– في هذا الأمر عجباً! فالجاهلية في كل عصر –وفي هذا العصر خاصة– تحاول أن تجعل من هذا الميل الغريزي الموجود لدى كل جنس نحو الجنس الآخر؛ تحاول أن تجعل منه خنجراً تطعن فيه الإسلام والمسلمين، وتفعل ما يلي:–

١- العمل بكل وسيلة على تهييج الغريزة الجنسية وإثارتها.

وهذه الغريزة يقظة؛ والشيطان كما يسعى في الطرف الأول إلى محاولة إيجاد العوائق والعقبات الكثيرة، أمام الإشباع الصحيح للغريزة؛ يسعى في الطرف الثاني إلى فتح الباب على مصراعيه للإشباع المحرم، عن طريق الإغراءات الكثيرة عن طريق المجلات التي هي بالمئات؛ بل لا أبالغ إذا قلت: أنها بالآلاف، من مجلات الأزياء، مجلات الفن، مجلات السينما، مجلات الرياضة، مجلات الجمال، مجلات الجنس الخ.

٢– سد الأبواب المشروعة للإشباع الفطري؛ وذلك بسد الأبواب المشروعة للإشباع الفطري؛ وذلك بوضع العراقيل والعقبات الحقيقية والوهمية في هذا السبيل، ومن ثم القيام باختلاق عراقيل وعوائق اجتماعية ونفسية وعقلية واقتصادية؛ وذلك للتأثير على الشباب والشابات بمؤثرات كثيرة، تقنعهم بأن قضية الزواج مسألة صعبة يجب عدم التفكير فيها الآن لأسباب عديدة، منها: مواصلة الدراسة، والعمل على تأمين المستقبل، وعدم توفر الإمكانات اللازمة، والظروف البيئية، وانصراف النفس أصلاً عن التفكير في هذا الموضوع وعدم التهيؤ له؛ بسبب مؤثرات مزعومة[1].

(١) دروس للشيخ سلمان العودة (١٣/١٥) المؤلف: سلمان بن فهد بن عبد الله العودة.

وهذا الذي يحدث في واقعنا المعاصر هو الذي حدث قديمًا مع قوم لوط _عليه السلام_فالله _عزوجل_قد أحل لهم الاستمتاع الطبيعي، عن طريق الزواج بالنساء، لكنهم رفضوه ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾[١]، وقوله تعالى:﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [٢].

يقول الشيخ الخطيب : لقد أنكر القوم على «لوط» ما دعاهم إليه من التزوج بالنساء، ومنهن بناته اللائي عرضهن عليهم، وذلك ليكون اتصالهم بالنساء صارفا لهم عن إتيانهم هذا المنكر مع الرجال! وقد جاء إنكارهم هذا في صورة فريدة من الدناءة والخسة والتجرد من الحياء.. ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [٣] أي إنك لم تعرض علينا أمرا جديدا لتصرفنا عما نطلب.. فأنت تعلم مالنا في بناتك من حق، وأننا نملك التزوج بهن من غير اعتراض.. فالتزوج بالنساء أمر متفق عليه بيننا وبينك، كما هو متفق عليه بين الناس جميعا.. ولكن ماذا عندك لنا في هذا الذي نطلبه من الضيوف؟ «وإنك لتعلم ما نريد» ! فهل في بناتك أو بنات غيرك ما يحقق لنا هذا الذي نريده؟ ولا يجد لوط لهذه السفاهة جوابا، ولا يرى لهذا السوء الذي يراد بضيوفه مردا [٤].

---

(١) سورة هود آية (٧٨).
(٢) سورة الشعراء (١٦٦).
(٣) سورة هود آية (٧٨).
(٤) التفسير القرآني للقرآن (١١٨٠/٦).

فنهض لوط _عليه السلام _في علاج هذا الوباء الذي فشا في قومه ببيان الطرق الصحيحة والمصارف المشروعة لقضاء الشهوة وإطفاء نيرانها، فناداهم بصفة القومية (يا قوم)

فبادرهم بالنداء وبأنهم قومه ترقيقا لنفوسهم عليه، لأنه يعلم تصلبهم في عادتهم الفظيعة كما دل عليه قولهم:﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (1).

يقول الطاهر بن عاشور : وجملة ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ ﴾ تعليل للعرض. ومعنى هن أطهر أنهن حلال لكم يحلن بينكم وبين الفاحشة، فاسم التفضيل مسلوب المفاضلة قصد به قوة الطهارة(2).

ومهمة لوط _عليه السلام _كانت صعبة جدًا في علاج هذا الأمر المتأصل المستعصي في قومه، فأنكر عليهم أشد الإيمان، ووبخهم أشد التوبيخ، ووصفهم بأنهم قوم موغلون في العدوان وتجاوز حدود الله، وأعلن بغضه الشديد لعملهم، بالرغم من تهديدهم له بالطرد والإبعاد من بلدهم. ولما يئس لوط من إيمان هؤلاء القوم بالله، والتطهر من فعل الفاحشة الشنيعة، دعا ربه بأن ينجيه وأهله من عذاب عملهم، وألا يصيبه من عذابهم، وهذا يتضمن الدعاء عليهم، ولا يدعو النبي على قومه إلا بإذن من ربه. فأجاب الله دعاءه، ونجاه وأهل بيته ومن آمن معه أجمعين من العقاب الأليم الذي أنزله بهم، إلا امرأته العجوز بقيت في عذاب الله تعالى.

---

(1) سورة هود آية (79).

(2) التحرير والتنوير(12/126/127).

يقول الدكتور وهبة الزحيلي : إن الكفر بالله تعالى ورسله، والشذوذ الجنسي " اللواط" وترك هذا الاستمتاع الطبيعي الحلال من طريق الزواج بالنساء، مدعاة للانتقام الإلهي، والعقاب الشديد في الدنيا والآخرة.

وكان العقاب الدنيوي هو الإهلاك بالخسف والحصب، أي بالزلزال والبركان، فأمطر الله عليهم الحجارة، بأن خسف جبريل _عليه السلام _ بقريتهم وجعل عاليها سافلها، ثم أتبعها الله بالحجارة .إن في ذلك لآية وأي آية، والعاقل من اتعظ بغيره، ولم يكن من قوم لوط مؤمن إلا بيت لوط وابنتاه، والله قادر على الانتقام من أعدائه، وهو في الوقت نفسه رحيم بأوليائه المؤمنين (1).

(١) التفسير المنير (٢٠٩/٢٠٨/١٩)، وما ذكره الدكتور وهبه الزحيلي في عقاب قوم لوط الدنيوي هو الصحيح والصواب، دع عنك أيها القارئ ما تقرأه في كتب التفسير من عجائب وغرائب، ما أنزل الله بها من سلطان، وكلها كما نعلم ليس لها سند من كتاب أو سنة. يقول الإمام الشوكاني في تفسيره (٥٨٦/٢):" وقد ذكر المفسرون روايات وقصصا في كيفية هلاك قوم لوط طويلة متخالفة، وليس في ذكرها فائدة، لا سيما وبين من قال بشيء من ذلك وبين هلاك قوم لوط دهر طويل لا يتيسر له في مثله إسناد صحيح، وغالب ذلك مأخوذ عن أهل الكتاب، وحالهم في الرواية معروف.وقد أمرنا بأنا لا نصدقهم ولا نكذبهم، فاعرف هذا".أ.هـ.

المطلب الثالث: **أسلوب التكذيب والتهديد للمصلحين بالإخراج من الأوطان**:

وهو من الأساليب الخبيثة التي استخدمها قوم لوط – عليه السلام – معه لأن الخروج من الأوطان أمر عظيم على النفس.

يقول الشيخ الشنقيطي : ومن أعظم خبائثهم: تكذيبهم لنبي الله لوط، وتهديدهم له بالإخراج من الوطن، وإليه الإشارة بقوله :﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ (1)

وقال تعالى : ﴿ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ ﴾، إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا الشأن (2).

وبالنظر في الآيات الواردة تحت هذا المطلب، تجد دقة في اختلاف التعبير وهذا وأمثاله من إعجاز القرآن الكريم ففي الآية السابقة يقول الله تعالى: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ وفي موطن آخر يقول : ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ ﴾ (3).

وعن هذه الدقة يقول الشيخ رشيد المنار ما ملخصه : وهذه الدقة في اختلاف التعبير في المواقع المتحدة أو المتشابهة لأمثال هذه النكت لا تجدها مطردة إلا في كتاب الله تعالى، وهي من إعجازه اللفظي ولذلك يغفل عنها أكثر المفسرين (4).

والمعنى لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح أمرنا لتكونن من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا، ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال: من تعنيف به، واحتباس لأملاكه. وكما يكون حال الظلمة إذا أجلوا بعض من يغضبون عليه، وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة(5).

---

(1) سورة الأعراف آية (82).

(2) أضواء البيان (4/168).

(3) جزء من الآية (82) من سورة الأعراف.

(4) تفسير المنار(8/457).

(5) الكشاف للزمخشري (3/330).

ويقول الإمام البقاعي :" من المخرجين " أي ممن أخرجناه من بلدنا على وجه فظيع تصير مشهوراً به بينهم. إشارة إلى أنه غريب عندهم، وأن عادتهم المستمرة نفي من اعترض عليهم، وكان قصدهم بذلك أن يكونوا هم المتولين لإخراجه إهانة له للاستراحة منه، فكان إخراجه [١].

ولعل هذا التهديد الذي هددوه به؛ لأنه كان من بلدة غير بلدتهم، وعلى فرض ذلك فإن من عاش بأرض صارت بلده فالخروج منها أمر غير هين. والظاهر كانوا يخرجون من غضبوا عليه بسبب من الأسباب، منها إنكاره تلك الفاحشة من بينهم على عنف وسوء حال، ولهذا هددوه بذلك، وعدلوا عن لنخرجنك الأخصر[٢] إلى ما ذكر ولا يخفى ما في الكلام من التأكيد [٣].

ويقول الطاهر بن عاشور : فهددوه بالإخراج من مدينتهم لأنه كان من غير أهل المدينة بل كان مهاجرا بينهم وله صهر فيهم[٤].

وأيا ما كان الأمر فلا أظن أن سبب إخراجه الأساس هو ماذُكر من أنه كان من غير أهل المدينة فهذا هو الظاهر، لكن الذي يكشف عنه المقام وهو جوهر الحقيقة ولبُها أنهم أخرجوه لدعوتهم للفضيلة ومحاربته الرزيلة، وشأن النفوس الخبيثة المنغمسة في المنكرات أن تعادي من يدعوها إلى الطهر والعفاف وتسعى في الخلاص منه وهو شأن سائر الأقوام مع أنبيائهم والمصلحين فيهم.

وقد أجاد الدكتور محمد سيد طنطاوي حيث قال ما مفاده : ردوا عليه بما يدل على شذوذهم وعلى انتكاس فطرتهم، فقد قالوا له على سبيل التهديد والوعيد: لئن لم

---

(١) نظم الدرر للبقاعي(٨٣/١٤).

(٢) يُقَال هَذَا أخصر من ذَاك وأقصر أوجز وبقال: اختَار الطريقة الأَخْصر في حل المسألة. فكأنهم اختاروا الطريقة المختصرة وهي إخراج نبي الله لوط. يراجع:معجم الصواب اللغوي (٩٥٥/٢).

(٣) روح المعاني (١١٤/١٠).

(٤) التحرير والتنوير(١٨٠/١٩).

تنته يا لوط لتكونن من المخرجين.أي: قالوا له متوعدين: لئن لم تسكت يا لوط عن نهيك إيانا عما نحن فيه، لتكونن من المخرجين من قريتنا إخراجًا تامًا، ولنطردنك خارج ديارنا.

وهكذا النفوس عند ما تنحدر في الرذيلة وتنغمس في المنكر، تعادى من يدعوها إلى الفضيلة وإلى الطهر والعفاف [1].

(١) التفسير الوسيط (٢٧٣/١٠).

المطلب الرابع :

قطع السبيل على المارة، وصدور ما لا يليق بهم من الأقوال والأفعال :

أ- قطع السبيل :

جاء في كتاب المفردات للراغب: أن القطع: هو فصل الشيء مدركًا بالبصر كالأجسام، أو مدركًا بالبصيرة كالأشياء المعقولة. وقطع الطريق يقال على وجهين: أحدهما: يراد به السير والسلوك، والثاني: يراد به الغصب من المارة والسالكين للطريق.وسمي ذلك قطع الطريق؛ لأنه يؤدي إلى انقطاع الناس عن الطريق، فجعل ذلك قطعًا للطريق [١].

وكان ذلك إما لسلب أموالهم أو أزاهق أنفسهم أو فعل الفاحشة بهم، وإليه الإشارة **بقوله تعالى:**﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾[٢]، وكل هذه الأوجه محتملة في معنى الآية.

قال ابن عطية : كان قطع الطريق بالسلب فاشيًا فيهم، فكانوا يقطعون الطرق على الناس لطلب الفاحشة، وقيل: بل أراد قطع سبيل النسل في ترك النساء وإتيان الرجال، وقيل: بل أراد أنهم لقبح الأحدوثة عنهم يقطعون سبل الناس عن قصدهم في التجارات وغيرها[٣].

أي التصدي للمارين فيه بأخذ أموالهم أو قتل أنفسهم أو إكراههم على الفاحشة، وكان قوم لوط يقعدون بالطرق ليأخذوا من المارة من يختارونه.

والآية الكريمة تشير إلى قطع طريق الفطرة التي فطر الله الناس عليها بقلب نواميس الكون وقوانينه، وقطع الطريق الذي تسير عليه الكائنات كلها في الحفاظ على تناسلها وبقائها، والأقبح من ذلك يعلنون بذلك ولا يستترون منه.

(١) المفردات للراغب(ص٦٧٨).

(٢) سورة الشعراء آية (٢٩).

(٣) المحرر الوجيز (٣١٥/٤).

i

وفي ذلك يقول الطاهر ابن عاشور :" وقطع السبيل: فيه إشارة إلى قطع سبيل الفطرة السليمة، التي تدعو إلى اتصال الذكر بالأنثى، والرجل بالمرأة، وذلك باعتزالهم النساء، وإتيانهم الذكران.. وذلك قطع منهم للسبيل المستقيم، الذي تسير عليه الكائنات جميعا، حيث يأخذون هم سبيلا غير هذه السبيل، وهو فساد في ذاته وهو أفسد في هذا المقصد. ومقدماتها كالتغازل برمي الحصى اقتراعا بينهم على من يرومونه، والتظاهر بتزيين الفاحشة زيادة في فسادها وقبحها لأنه معين على نبذ التستر منها ومعين على شيوعها في الناس " (١).

ب- صدور ما لا يليق بهم من الأقوال والأفعال :

وذلك في مجالسهم الخاصة والعامة، دون أن ينكر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك، لسوء أخلاقهم وقبح طباعهم، وإليه الإشارة **بقوله تعالى** : ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ۝٢٩ ﴾ (٢).

والمنكر : كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة (٣).

والنادي : المكان الذي ينتدي فيه الناس، أي يجتمعون نهارًا للمحادثة والمشاورة وهو مشتق من الندو بوزن العفو وهو الاجتماع نهارًا. وأما مكان الاجتماع ليلاً فهو السامر، ولا يقال للمجلس ناد إلا ما دام فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يسم ناديًا (٤).

وإتيان المنكر إشارة إلى أن القوم كانوا من الفجور وجفاف ماء الحياء من وجوههم، بحيث لا يجدون حرجًا في أن يأتوا هذا المنكر علانية، وهم في مجتمعهم

---

(١) التحرير والتنوير (٢٤١/٢٠ وما بعدها)

(٢) سورة الشعراء آية (٢٩)ويراجع: التفسير المنير(٩٣/١٧)،بتصرف كبير.

(٣) المفردات للراغب(ص٨٢٣).

(٤) التحرير والتنوير(٣٤٠/٢٠).

الذي يجتمعون فيه، وهذا غاية ما يتردى فيه الإنسان، في طريق الانحدار إلى عالم الحيوان خصوصًا إذا كان عنده من استعداد لها ولمقدماتها، ثم إن التظاهر بتزيين الفاحشة يكون زيادة في فسادها وقبحها لأنه معين على نبذ التستر منها ومعين على شيوعها في الناس [١].

ويقول ابن كثير: أي يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون، أموالهم ويفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيئا من ذلك، فمن قائل كانوا يأتون بعضهم بعضا في الملأ [٢].

ومهمة هذه المجالس أنها محل مذاكرات أموركم المهمة فيما يتعلق ببعضكم وجيرانكم كالاجتماعات والمداولات بالأمور النافعة كالحرب وصادرات البلاد ووارداتها وحسن الجوار مع الناس والمعاهدات وغيرها،ولكنكم غيرتم مهمتها ففعلتم فيها"اللواط" فنكحتم بعضكم بعضًا فيه، وتصفرون فيها للمارة، ويحذف بعضكم بعضًا بالحصى، وتفرقعون أصابعكم، وتعلكون، وتتبادلون الألفاظ المنكرة البذيئة، وتتهامزون[٣] بالخبث والفحش فيها فتوبوا إلى ربكم وارجعوا واتعظوا بمن سلف منكم، كي لا يحل عليكم عذاب الله[٤].

وخلاصة القول في هذا ماذكره الإمام القرطبي في تفسيره عن ابن عباس: إن قوم لوط كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة، منها أنهم يتظالمون فيما بينهم، ويشتم بعضهم بعضا ويتضارطون في مجالسهم، ويخذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج، ويلبسون المصبغات، ويتناقرون بالديكة، ويتناطحون بالكباش، ويطرفون أصابعهم بالحناء، وتتشبه الرجال بلباس النساء والنساء بلباس الرجال، ويضربون المكوس على كل عابر، ومع هذا كله كانوا يشركون بالله، وهم أول من ظهر على أيديهم

(١) التفسير القرآني (٤٢٨/١٠)، والتحرير والتنوير(٣٤٠/٢٠)،بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير (٢٤٩/٦)بتصرف.

(٣) الهمز كالعصر. يقال: همزت الشيء في كفي، ومنه: الهمز في الحرف، وهمز الإنسان:اغتيابه.يقال: رجل هامز، وهماز، وهمزة.وإن اغتيب فأنت الهامز اللمزة. المفردات للراغب (ص٨٤٦).

(٤) بيان المعاني(٤٧٥/٤) بتصرف كبير.

اللوطية والسحاق، فلما وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبائح رجعوا إلى التكذيب واللجاج، فقالوا: "ائتنا بعذاب الله" أي إن ذلك لا يكون ولا يقدر عليه. وهم لم يقولوا هذا إلا وهم مصممون على اعتقاد كذبه. وليس يصح في الفطرة أن يكون معاند يقول هذا ثم استنصر لوط _عليه السلام _ ربه فبعث عليهم ملائكة لعذابهم، فجاءوا إبراهيم أولا مبشرين بنصرة لوط على قومه حسبما ذكره الله في سورة " هود" وغيرها [١].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٣/١٣).